

المحاضرة الثانية:

الغزو الإيطالي لليبيا سنة 1911م:

كانت ليبيا خلال القرن التاسع عشر مسرحاً لصراعات حامية, فقد اتجهت إليها أنظار الكثير من الدول الأوروبية, فقد أثيرت المخاوف حول نوايا فرنسا تجاه ليبيا بعد إعلانها الحماية على تونس في 1881م هذا من جهة, والأطماع التوسعية لكل من إيطاليا وألمانيا بعد تحقيق كل منهما لوحدها القومية من جهة أخرى, خاصة وأن ألمانيا في أواخر القرن التاسع عشر دخلت ألمانيا حلبة السباق الدولي في شمال إفريقيا وخاصة إلى ليبيا, وانتصار ألمانيا على فرنسا في 1870م شجع الكثيرين على التفكير بأن ألمانيا لا بد متقدمة نحو ليبيا, خاصة وأن عدداً من الرحالة الألمان أخذوا يترددون على تلك البلاد مثل بارث (Barth), مالتسان (Maltsan), ناختيجال (Nachtigal)... الخ, كما تطلعت الدولتان - ألمانيا وإيطاليا- إلى دخول ميدان الاستعمار والسيطرة, وللحصول على نصيب كغيرها من الدول التي سبقتها في هذا الميدان, فتدعمت العلاقات فيما بينهما وتوجهت سياستهما نحو عزل فرنسا والوقوف أمام توسعها من جهة, والسعي لتأمين أطماعهما المتبادلة من جهة أخرى.

كما أن الولايات المتحدة الأمريكية كان لها أيضاً دوراً في هذا التنافس, فقد سعى فصلها في طرابلس فيدال (Fedal) في عام 1873م لأن يحصل لبلادها على ميناء يكون قاعدة للأسطول الأمريكي في البحر المتوسط, ووقع الاختيار على ميناء طبرق, ولكن الصراعات الدولية آنذاك لم تفتح الباب أمام هذا المشروع ليدخل حيز التنفيذ.

أما إيطاليا والتي كانت مفعمة بالشعور الاستعماري الناشئ الذي دفعها إلى الإسراع باستغلال الفرصة المناسبة لتأكيد الذات القومية, وباعتبارها دخلت متأخرة عن ركب الدول الأوروبية في مجال التوسع الاستعماري بدأت تتطلع لغزو ليبيا, هذه الأخيرة التي كانت الجزء الوحيد في شمال إفريقيا الذي

محاضرات في: تاريخ ليبيا المعاصرة..... د/ بوجلال مسعودة.

لم يتعرض للاستعمار الأوروبي, فلقد وجدت إيطاليا في ليبيا التي اعتبرتها شاطئها الرابع المكان المناسب لتكون مستعمرتها, وكان الإيطاليون ينظرون إلى حوض البحر الأبيض المتوسط, وإلى بلدان الشمال الإفريقي الممتدة على ساحله على أنها مناطق طبيعية لنفوذهم, لذلك راحت تمهد لهذا المسعى منذ نهاية القرن التاسع عشر من خلال إتباع عدة وسائل وطرق لتحقيق غزوها.

أولاً- عوامل ودوافع إيطاليا لغزو ليبيا:

ما إن تهيأت الظروف المناسبة دولياً ومحلياً لإيطاليا وأكملت استعداداتها حتى بدأت عملية الغزو للولاية, وقد اشتركت عوامل كثيرة دفعت بالإيطاليين إلى توجيه أنظارهم وأطماعهم الاستعمارية إلى هذه البلاد, وخوض حرب دامت 32 سنة, نذكر منها:

1- رغبة إيطاليا في الحصول على مستعمرات في البحر الأبيض المتوسط, مما يحقق لها المكانة والعظمة السياسية التي تحلم بها, وجعلها دولة قادرة على التأثير على الأحداث الواقعة على جنباتها ومنافسة كل من فرنسا وبريطانيا على وجه الخصوص.

2- الرغبة في التوسع والحصول على مستعمرة, خاصة وأن إيطاليا لم تستطع أن تحقق ما تصبوا إليه من وراء غزوها لأريتيريا والصومال, من توسع استعماري لخلق إمبراطورية عظمى في إفريقيا, ولإيجاد حلول لمعالجة المشاكل التي تعيشها من الداخل.

3- الإدعاء بحمل الرسالة الحضارية ومسؤولية تمدين الشعوب المتخلفة ونشر الثقافة في إفريقيا ابتداء من ليبيا, بحجة أن ليبيا كانت قد وقعت تحت سيطرة الرومان.

4- الشعور بالنقص إزاء الدول الأوروبية الكبرى ذات المستعمرات, ومحاولة محو العار الذي لحق بها إثر هزيمتها في معركة عدوة في الحبشة سنة 1896م.

5- تزايد عدد سكان إيطاليا, وعجز أراضيها الزراعية وحاجة الصناعة الإيطالية إلى الأسواق والمواد الخام, وكذا رغبة الإيطاليين في استثمار رؤوس أموالهم كل هذا قد جعل القادة العسكريين والسياسيين بحاجة إلى البحث عن أراضي جديدة يخرجون بها إيطاليا من الأزمة, فعملية التحرير والوحدة السياسية قد كلفت نفقات باهظة وقع كاهلها على أهل الجنوب خاصة مما أدى إلى انخفاض المستوى المعيشي.

محاضرات في: تاريخ ليبيا المعاصرة..... د/ بوجلال مسعودة.

ارتفعت بعد ذلك الشعارات المنادية بأن التوسع هو ضرورة قومية من أجل تشغيل اليد العاملة واستعادة أمجاد روما ووضع حل للمشاكل المستعصية في إيطاليا وفي مقدمتها الإقتصاد المنهك والبطالة المتفشية، ثم إن الإيطاليين بدأوا يحسون بعقدة نقص كبيرة جراء عجزهم عن التوسع على غرار باقي الدول الأوروبية كفرنسا وبريطانيا مثلا، لذلك دائما ما كان ينتابهم الشعور بأنهم لازلوا في مصاف الدول الصغيرة.

ثانياً- طرق التغلغل الإيطالي في ليبيا:

كانت إيطاليا تعتبر تونس وليبيا بمثابة منطقتي نفوذ بالنسبة إليها بعد احتلال فرنسا للجزائر عام 1830م، فقد هاجر الكثير من الإيطاليين إلى ليبيا واستقروا بالخصوص في المدن الهامة والمراكز التجارية، وقاموا بإنشاء شركات تجارية هناك، كما أقرضوا الأموال للسكان الليبيين، وشجعوا حركة التنصير بإنشائهم المدارس النصرانية لجالياتهم، كما فتحوا المستشفيات وحرصوا على كسب ود السكان، إلا أن احتلال فرنسا (الحماية) لتونس عام 1881م جعل إيطاليا تركز على ليبيا وبالخصوص بعد هزيمتها في معركة عدوة بإثيوبيا في 1 مارس 1896م عندما حاولت أن تعوض ما خسرت، ومع ذلك فإن إيطاليا حاولت أن تسلك مسلكا سياسيا دبلوماسيا بأن اعترفت لفرنسا بالحماية في تونس كما وقفت معها في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906م الذي عقد لتقرير مصير المغرب الأقصى كمستعمرة أوروبية، وبهذا ضمنت إيطاليا سكوت فرنسا حول تدخلها في ليبيا مقابل أن تطلق فرنسا يدها في الإقليم المراكشي (المغرب)، كما اتفقت مع إنجلترا أيضا حول ذلك مقابل أن تحتل هذه الأخيرة مصر، وبذلك أصبحت إيطاليا صاحبة اليد الأولى في ليبيا وبالتالي منعت أي معارضة أوروبية حول مصالحها الهامة هناك.

1- التغلغل المالي الإيطالي (بنك دي روما):

حاولت إيطاليا الحصول على امتيازات عديدة في ليبيا لكي تتغلغل أكثر فأكثر في المنطقة، وبدأت بالتدخل الاقتصادي السلمي بصورة تدريجية، وكانت البداية بإنشاء أول مكتب تجاري إيطالي في بنغازي سنة 1880م، وبعد سنة من ذلك أرسلت بعثة تجارية خاصة إلى برقة، وفي بداية القرن العشرين أخذ التوسع الاقتصادي الإيطالي يزداد وطأة. وفي سنة 1905م فتحت إيطاليا لمصرف "بانكو دي روما" فرعاً في طرابلس، وقد تم فتح فروع أخرى لهذا المصرف في أغلب المدن الليبية في الفترة ما بين

محاضرات في: تاريخ ليبيا المعاصرة..... د/ بوجلال مسعودة.

(1908-1911م)، وبدأت بإقراض الساكنة الليبية الأموال كما كانت تقدم لبعض المزارعين والفلاحين مساعدات عن طريق هذا البنك، ولما لم يكن باستطاعة هؤلاء الفلاحين تسديد ديونهم كان البنك يستولي على أراضيهم. وكان ومن مهام هذا المصرف تقديم قروض ربوية، تمويل بعض الأنشطة التجسسية، وكذا تمويل المستوطنين الإيطاليين بليبيا بكل ما يحتاجون إليه، ثم تحول النشاط المصرفي إلى شراء الأراضي والعقارات وبناء بعض المصانع.

ومن هنا أصبح بانكو دي روما بمثابة اللبنة الاقتصادية الأولى في ليبيا، والأداة الاستعمارية الإيطالية للتغلغل بالمنطقة والتدخل في شؤونها، فقد كان الغرض من تأسيسه هو امتلاك الأراضي والاستيلاء عليها ونزع ملكيتها من الأهالي وإقراضهم المال بالربا الفاحش، واحتكار التجارة بالولاية، واستطاع بهذا أن يحقق لإيطاليا مصالح اقتصادية، وأن يستولي على الكثير من الأراضي والعقارات، وأن يورط العديد من الأسر الليبية في التعامل معه مالياً، مما أدى في النهاية إلى الاستيلاء على ممتلكاتهم عن طريق الرهن والحجز، مما سهل عملية شراء الأراضي من المواطنين الليبيين بأبخس الأثمان مستغلاً تردّي الأوضاع الاقتصادية التي مرت بها الولاية آنذاك وكانت هذه الخطوة الأولى لعملية الاستيطان الإيطالي بعد الاحتلال سنة 1911م.

ومنذ سنة 1905م أصبح لهذا البنك أثر واضح في نشاط الدعاية الإيطالية ضد الدولة العثمانية في طرابلس، ولم يجد نشاط البنك في الولاية أية مقاومة تذكر من جانب السلطات العثمانية سوى في عهد الوالي إبراهيم باشا، ورجب باشا (1904-1908م)، هذا الأخير الذي استعمل كل نفوذه في معارضة تأسيس البنك، ولكن حكومة الآستانة عارضت تشدده.

لقد شرع البنك رسمياً نشاطه في ليبيا في أبريل 1907م، وفتحت له فروع جديدة في بنغازي، وإثني عشر مدينة أخرى منها: درنة، وسرت ومصراته، واتسعت استثماراته في سنة 1911م عند الاحتلال، وأصبح رأس ماله يقدر بـ 245 مليون ليرة إيطالية، وتمثلت استثمارات المصرف في شراء الأراضي والعقارات، إنشاء مصنع لتصنيع حشائش الحلفاء بطرابلس ومعاصر زيت الزيتون، ومطاحن للدقيق، ومصانع للصابون والإسفننج، وريش النعام، ومصنع لكسر الحجارة، وخطوط سفن تربط بين موانئ العديد من المدن الليبية وحتى استانبول. "وبفضل هذا المصرف -وخلال ثلاث سنوات من

محاضرات في: تاريخ ليبيا المعاصرة..... د/ بوجلال مسعودة.

افتتاحه - فإن نصف البضائع المستوردة إلى طرابلس كانت تحمل العلم الإيطالي وجميع المعاملات المصرفية مع باقي العالم, كان يقوم به مصرف روما".

بذل الإيطاليون من خلال البنك لشراء الأراضي من الأهالي بأضعاف قيمتها وإتباع سياسة الإقراض والاستهلاك في حالة العجز عن دفع القروض, واستطاعت الحكومة الإيطالية من التأثير على السفير العثماني في روما حقي باشا الذي بعث بدوره إلى حكومته برسالة جاء فيها: "إن إيطاليا تبذل جهداً كبيراً لمساعدة الحكومة العثمانية ومن الواجب على الباب العالي أن يتسامح مع بنك روما تدعيماً لأوامر المودة بين الدولتين وإحكاماً لعلاقات الصداقة", وبناءً على هذه التوصيات من سفير الدولة أوعز الباب العالي إلى الحكومة المحلية بطرابلس أن تقبل بيع الأراضي الفراغ باسم المدير العام لبنك روما, ولكن الوالي رجب باشا عارض هذه السياسة أشد المعارضة, وصار يمانع في بيع الأراضي لبنك دي روما, ويحرض الأهالي على الشراء بعضهم من البعض الآخر. وبسبب ما أبداه رجب باشا في معارضة السياسة الإيطالية, وتلمس الأسباب في معارضتها, مكن إلى حد كبير من منع انتقال الأملاك الطرابلسية إلى بنك روما على الرغم من الجهود التي بذلها الطليان, والتهديدات المختلفة والأوامر التي تأتيه من الآستانة بعدم المعارضة, وهذا ما ساهم في عزله سنة 1911م, وجيء فيما بعد بولاية كانوا أداة في يد السياسة الإيطالية, وهذا دليل على مدى التغلغل الإيطالي في ولاية طرابلس الغرب وأصبح بنك روما مركزاً للدعاية الإيطالية التي مهدت إلى عملية الغزو. ولقد أصبح البنك في فترة وجيزة منذ تأسيسه سنة 1880م من أبرز الأدوات والوسائل الاستعمارية في الولاية بحكم احتوائه على العديد من المتمرسين من رجال الدين والسياسة ومن إخوان توماس تيتوني حيث شغل هذا الأخير خلال الفترة ما بين (1905-1909م) منصب وزير الخارجية.

إلا أن أهم ما قام به مصرف روما من أعمال ذات طابع عسكري مهدت لعملية الغزو مستقبلاً هي قيامه بشراء الأراضي لتسهيل عملية الاستيطان مستقبلاً, وكذلك القيام ببناء المخابز والأفران واستيراد الدقيق بشكل واسع النطاق من أجل توفير الأرزاق لقواته مستقبلاً حيث امتلكت القوات الإيطالية معلومات دقيقة فور غزوها لسواحل الولاية عن هذه المطاحن والأفران المدعومة من قبل بنك روما وخاصة المطاحن الموجودة في مدينة طرابلس مما يدل على أن وظيفة الفران كانت استخباراتية تتعلق بالغزو أكثر مما هي خدماتية.

2- تشجيع الهجرة إلى ليبيا:

أشار تقرير صادر عن القنصلية الإيطالية علم 1881م, إلى أن عدد عائلات الجالية الإيطالية بطرابلس لا يتعدى 150 عائلة معظمها من توسكانيا (Toscana), و نابولي (Napoli), وبعد أن شجعت الحكومة الإيطالية هجرة الإيطاليين إلى ليبيا عام 1904م حيث بلغ عدد الايطاليين القاطنين بطرابلس 636 نسمة, وبدأ العمال الإيطاليين يتوجهون نحو ليبيا, ومنهم من كان يدخل باسم مستعار, كما قديم العديد منهم على أنهم تجار وعمال بناء وصناع, ثم أخذت الحكومة الإيطالية تزودهم بالأموال, وقد كان معظمهم من رجال الاستخبارات, حيث تكفل قنصل روما لدى طرابلس وبنغازي بنقل معلومات إلى الحكومة الإيطالية, ويشير نفس التقرير إلى أن هذه الجالية أصبحت قوية لها مؤسساتها الثقافية والتجارية والصناعية من الطراز الأول ومسيطرة على معظم أوجه النشاط التجاري في ليبيا.

3- نشر الثقافة الإيطالية:

حاولت إيطاليا نشر ثقافتها ولغتها ومسح الثقافة الإسلامية من ليبيا عن طريق التعليم والتنصير وبعض الأعمال الخيرية, وتأسيس النوادي الترفيهية, وإنشاء المدارس الإيطالية لاسيما في المدن الرئيسية, وانتشر التعليم خصوصاً في السنوات الأخيرة, نظراً للتسهيلات الإيطالية المقدمة في هذا المجال بالمقابل كانت المدارس العثمانية تطرد بعض التلاميذ إما لقلة أماكن الدراسة أو لعجزهم عن تسديد المصاريف, وكانت المناهج في هذه المدارس تُدرّس بالإيطالية وتقع ميزانيتها على عاتق الحكومة الإيطالية. ورغم معارضة بعض الولاة مثل عمر راسم لهذا النشاط فقد فتحت هذه المدارس أبوابها لتعليم كثير من الفقراء واليهود الذين صاروا تجاراً وارتبطت معاملاتهم بإيطاليا. هذا بالإضافة إلى إنشاء بعض المستشفيات وملاجئ الأيتام في أهم مدن الولاية وبخاصة طرابلس وبنغازي إلى جانب نشاط البعثات التبشيرية التي كان نشاطها يسير موازياً لنشاط المدارس والمستشفيات والملاجئ. ولم يكن هذا غير وحباً على أبناء ليبيا, بل كان أمراً مخططاً له بإحكام لتحقيق أطماع إيطاليا التي أصبح نفوذها ولغتها يتغلغلان في ليبيا بشكل ملفت للانتباه.

محاضرات في: تاريخ ليبيا المعاصرة..... د/ بوجلال مسعودة.

كما قامت عديد الجمعيات والشخصيات الليبية بعمليات تنصير لأهالي المنطقة خاصة لما كانت تذكرهم بالكنيسة الرومانية القديمة الإفريقية، وأن المغاربة عموماً لظالما كانوا في ود وسلام مع الإمبراطورية الرومانية، وأسست عام 1910م عدة مدارس، وقد صرح وزير الخارجية في البرلمان الإيطالي أن لإيطاليا مدارس في ليبيا تضم حوالي 1770 طالباً.

4- تشجيع عمل الرحالة والجواسيس:

كانت الرحلات والبعثات الاستكشافية والجغرافية الإيطالية تحت أسماء وشعارات مستعارة ظاهرها علمي وباطنها استعماري تجسسي، لجمع أكبر قدر من المعلومات حول ليبيا وأوضاعها العامة، وتسهيل عملية احتلالها والتغلغل فيها. وقد نشطت في هذه المرحلة عدة بعثات استكشافية إيطالية، وكانت معظمها موفدة إلى طرابلس الغرب بمبادرة من "الجمعية الإيطالية للاستكشاف الجغرافي والتجاري" التي اتخذت من مدينة ميلانو مركزاً لها، ومن الرحالة الإيطاليين الذين زاروا ليبيا آنذاك: مانفريدو كامبيريو (Manfredo Camperio)، جوزيبي هايمان (Giuseppe Human) في سنة 1881م، ويديريتي (Pedretti) في سنة 1901م، كما أرسلت إيطاليا بعثة عسكرية سنة 1906م تتألف من عدة ضباط قالوا عنها أنها بعثة علمية للبحث عن الآثار وصلت إلى سواكنة وفزان وتمكنت من وضع خرائط حربية لجميع المناطق التي مرت بها، وكانت آخر بعثة إيطالية إلى ليبيا سنة 1911م تحت شعار "بعثة جغرافية"، وكانت هي الأخرى ذات طابع عسكري، كما نظرت إيطاليا إلى البعثات الأوروبية الأخرى إلى ولاية طرابلس على أنها تهديد لسيادتها.

وقد شكلت البعثات التبشيرية سنداً كبيراً لتقوية هذا التغلغل، فقد اندفع رجال الدين بحماس شديد لتأييد احتلال ولاية طرابلس، وإعداد أهلها لتقبل هذا الاحتلال والتعايش معه خدمة لأهداف استعمارية جسدها بناء المدارس وإقامة الكنائس في كل أنحاء ليبيا بهدف الإدعاء بنشر الحضارة والتطور.

5- كسب تأييد الدول الأوروبية (إيطاليا والمعاهدات الدولية قبل احتلالها لليبيا):

سعت إيطاليا لدى الدول الأوروبية الكبرى باحتلال ليبيا، إلا أن سياسة التسويات الدولية التي اتبعتها إيطاليا بخصوص ولاية طرابلس الغرب كانت أكثر نضوجاً ووضوحاً بعد عقدها للحلف الثلاثي

محاضرات في: تاريخ ليبيا المعاصرة..... د/ بوجلال مسعودة.

الذي ضم بالإضافة إليها كلا من ألمانيا والنمسا والمجر سنة 1883، وقد استمرت عضوا فعالا في هذا الحلف إلى سنة 1891 حيث يتم تجديد الحلف كل أربع سنوات وقد جدد ثلاث مرات.

وقد عقدت إيطاليا جملة من التسويات الدولية التي أثرت على سياسة إيطاليا المستقبلية بخصوص تعزيز نفوذها ومصالحها في ولاية طرابلس الغرب تسويات مع العديد من الدول:

5-1- التسوية الإيطالية-البريطانية:

بعد احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م ثم تونس 1881م تعاضم اهتمام بريطانيا بولاية طرابلس الغرب بعد احتلالها لمصر سنة 1881م. وأمام هذه التطورات أصبحت ولاية طرابلس الغرب هي الفاصل الوحيد بين الوجود الاستعماري البريطاني والفرنسي على الساحل الإفريقي الشمالي.

وأدركت إيطاليا المكانة الدولية التي كانتا تتمتع بها بريطانيا في مجال العلاقات الدولية السائدة آنذاك فحاولت الحصول على رضائها في مسألة إعطائها الحق في غزو ولاية طرابلس الغرب حيث أيد الرئيس الايطالي (فرانشيسكو كرسبي) (Francesco kirsbi) بريطانيا في تصديها لقمع ثورة أحمد عرابي في مصر سنة 1881م ضد الوجود البريطاني وقد سجلت إيطاليا بذلك موقفا إيجابياً بتأييدها المعنوي لبريطانيا أثناء هذه الثورة الوطنية في مصر نالت بذلك عطف بريطانيا المتزايد بإعطائها حق الاستيلاء على طرابلس وبرقة وقد انعكس هذا التعاطف البريطاني في برقية أرفقتها الحكومة البريطانية للحكومة الايطالية جاء فيها "إذا تغير الوضع القائم في حوض المتوسط فسيصبح احتلال إيطاليا لطرابلس ضرورة ملحة حتى لا يصبح البحر المتوسط بحيرة فرنسية" ومنذ عام 1882م حصلت إيطاليا على موافقة مبدئية من بريطانيا على احتلالها لولاية طرابلس الغرب وخاصة بعد احتلالها لمصر.

وبناء على هذه المعطيات الجديدة في العلاقات بين بريطانيا وإيطاليا توصل الطرفان إلى عقد إتفاقية سرية وذلك في 12 فيفري 1883م اتفق فيها الطرفان بالمحافظة على الوضع القائم في البحر المتوسط والأدریاتيك والبحر الأسود كما اتفق الطرفان سنة 1902م على تأييد كل منهما الآخر فيما يتعلق بمصالحهما في مصر وطرابلس.

والحقيقة أن إيطاليا شرعت في حملة دبلوماسية وسياسية تهدف إلى كسب بريطانيا وتأييدها لسياستها في ولاية طرابلس الغرب، لاعتقادها أن التأييد الفرنسي وحده لم يكن كافياً بل إنه لا يعني شيئاً دون موافقة بريطانيا العظمى التي أعطت بدورها الموافقة والتأييد لاحتلال الولاية.

5-2- التسوية الايطالية - الألمانية:

حاولت إيطاليا استغلال كل الفرص المتاحة أمامها كالمؤتمرات والأحلاف الدولية ومنها مؤتمر برلين 1878م ومنها الحلف الثلاثي سنة 1883م الذي يضمها إضافة إلى ألمانيا والنمسا والمجر والذي تم تجديده سنة (1887-1891م), من أجل الحصول على ضمانات مستقبلية في تونس، ولكنها عادت من مؤتمر برلين بدون نتيجة تُذكر، لأن ألمانيا وبريطانيا وعدتا فرنسا بحرية التصرف في الإقليم الذي كان يعرف في التاريخ القديم بقرطاج وذلك ثمناً لقبول فرنسا بالاحتلال البريطاني لقرص.

والحقيقة أن المصالح الأوروبية متداخلة فيما بينها، فإن ألمانيا تنازلت عن أطماعها في تونس من أجل أن تغض فرنسا النظر عن الانتقام لخسارتها في حرب السبعين (1870م) الذي دارت بينها وبين ألمانيا والتي خسرت فيها فرنسا إقليم الألزاس واللورين الغنيين بالفحم والحديد، فبعد سنة 1882م أحجمت ألمانيا عن تطوير رغبتها الاستعمارية في ولاية طرابلس الغرب وحاولت أن تستفيد من الاحتلال الفرنسي لتونس التي كانت لإيطاليا أطماع فيها، وفعلاً أفلحت في عزل إيطاليا عن كل من فرنسا وبريطانيا وبالتالي في إقناعها بالانضمام إلى الحلف الثنائي (ألمانيا والنمسا والمجر) الذي أصبح ثلاثياً سنة 1883م وفي 1887م وقّع الزعيم الألماني (بسمارك Bismark) اتفاقاً ثنائياً مع إيطاليا اعترف فيه بحقها في احتلال ولاية طرابلس وبرقة رغبة منه في تقوية علاقات التحالف مع إيطاليا من جهة وإثارة الصدام بينهما وبين فرنسا من جهة أخرى خاصة إذا ما زادت من توسع نشاطها في الشمال الإفريقي.

وعلى ما يبدو أن العلاقات الجيدة التي تربط الدول العثمانية مع ألمانيا كان له دور كبير في ذلك التردد الألماني في تأييد إيطاليا في خططها لغزو ولاية طرابلس الغرب، إلا أنه مع ذلك كانت التطمينات التي منحتها إيطاليا لألمانيا والنمسا من أن عملها الحربي ينحصر في نطاق حوض البحر الأبيض المتوسط والامتناع قدر الإمكان عن إثارة ما من شأنه أن يثير انعكاسات في البلقان أولاً، ولأن إيطاليا ربطت بين التأييد الألماني النمساوي لها لاحتلالها ليبيا وبين مواقفها على تجديد الحلف الثلاثي معها ثانياً. وقد عبر جيوليتي عن ذلك قائلاً "كان ذلك كفيلاً لإيطاليا على موافقة ألمانيا والنمسا لاحتلال ليبيا وإشعار فيينا وبرلين بأن أي اتجاه معادٍ غير ودي سيعرض الحلف للخطر الجدي بيننا".

إلا أن عدم طموح ألمانيا باحتلال ولاية طرابلس الغرب لم يمنعها من أن توليها الاهتمام الكبير لرعاية مصالحها التجارية والاقتصادية عبر الصحراء حيث أشار الرحالة الألمان إلى أهمية مدن الولاية

محاضرات في: تاريخ ليبيا المعاصرة..... د/ بوجلال مسعودة.

التجارية وفي مقدمتها مدينة غات الذي تعتبر مركزاً مهماً لتجارة جنوب الصحراء الإفريقي المؤدية إلى أوروبا.

5-3- التسوية الايطالية - الفرنسية:

حاولت إيطاليا في جانفي 1871 ارسال حملة عسكرية الى تونس لاحتلالها، لكن فرنسا تدخلت آنذاك وتحججت بأن التدخل الإيطالي إن وقع في شمال إفريقيا ستوسع دائرة التوترات على فرنسا في الجزائر، وبالفعل توقفت إيطاليا واحجمت عن ذلك، ثم أن التخوفات الإيطالية كانت موجودة خاصة من الأسطول العثماني في ليبيا والبحر الأبيض المتوسط الذي كان لا يزال قويا نوعا ما مقارنة بالأسطول الإيطالي في نفس الفترة، ولكن إيطاليا أحست بالخدعة لما احتلت فرنسا تونس عام 1881 وفرضت عليها الحماية وذلك نظير موافقتها لإنجلترا باحتلال جزيرة قبرص.

لم يكن لفرنسا ميولا حقيقية لاحتلال ولاية طرابلس الغرب، باستثناء أمر واحد فقط هو تسوية مشكلة الحدود لصالح تونس التي قامت باحتلالها سنة 1881م، ومن أجل تحييد موقف إيطاليا في الحلف (الثلاثي) (إيطاليا، ألمانيا، النمسا والمجر) حاولت فرنسا تأمين وضمان وجودها في تونس من خلال التفاهم مع إيطاليا التي حاولت الوصول إلى تسوية معينة بشأن نقاط الخلاف بينهما، وقد وجدت فرنسا في محاولة الايطاليين سنة 1890م الفرصة المناسبة أيضا لاعتراف فرنسا بوجودها في إثيوبيا والحصول على تأكيد تأييدها لها على حرية التصرف في ولاية طرابلس الغرب، ولكن المفاوضات (المندوب) "كريسي" قطع المفاوضات عندما اقترحت فرنسا أن تنازل إيطاليا عن مطالبها في تونس، وبعد خمس سنوات حصلت تطورات إيجابية في العلاقات الفرنسية - الإيطالية كانت كفيلة بتوصيل الطرفان إلى تسوية سنة 1896م بشأن مصالحهما في تونس.

إلا إن توقيع الاتفاقية البريطانية- الفرنسية في 31 مارس 1899م والتي على ما يبدو أبقى الباب مفتوحا أمام فرنسا (لكي تعتبر كل دواخل إقليم طرابلس تقريبا كمنطقة توسع فرنسي) أسهم في توتر العلاقات من جديد بين فرنسا وإيطاليا. لقد وقع هذا الاتفاق في لندن من قبل اللورد ساليزوري (Selisora) والسفير الفرنسي في لندن بول كامبون (Cambon Paul) وفيه تخلت فرنسا عن بحر الغزال والامتناع عن إنشاء أي نفوذ سياسي في وادي النيل العالي، في الوقت الذي حصلت فيه فرنسا على نفوذ لها في شرق تشاد وغيرها من بلدان إفريقيا الوسطى.

محاضرات في: تاريخ ليبيا المعاصرة..... د/ بوجلال مسعودة.

كما أعلن السفير الفرنسي في روما سنة 1902م (إن إمكانية قيام تصادم مصلحي بين إيطاليا وفرنسا أصبح مستحيلاً) وتبع ذلك تعهدات سرية بين البلدين اعترفت إيطاليا باحترام مصالح فرنسا في مراكش وتونس واعتراف فرنسا بإطلاق يد إيطاليا في ولاية طرابلس الغرب.

وكانت الرسائل المتبادلة بين وزير الخارجية الإيطالي والسفير الفرنسي في روما دلالة واضحة على التوافق التام بخصوص المصالح المتبادلة لكلا منها في ولاية طرابلس الغرب والمغرب (مراكش).

وهكذا بعد أن ضمنت إيطاليا الموقف البريطاني المؤيد بشأن أطماعها في ولاية طرابلس الغرب فإنها قامت بتسوية الأمور ذات الاهتمام المشترك بينها وبين فرنسا مستفيدة من الموقف البريطاني، حيث تبادل وزير خارجيتها مع السفير الفرنسي في روما العديد من الرسائل تؤكد عكس ما ذهب إليه بعض الباحثين من ضعف الدور الفرنسي في هذه المرحلة.

5-4- التسوية الإيطالية - النمساوية:

وعدت النمسا إيطاليا ضمن اتفاقية الحلف الثلاثي الموقعة بينهما سنة 1902م موافقتها على حرية التصرف الإيطالي تجاه ليبيا (ولاية طرابلس الغرب) وذلك أثناء تجديد اتفاقية الحلف الثلاثي الذي يضم إيطاليا وألمانيا والنمسا والمجر في تصريح رسمي مكتوب أعلن وزير الخارجية الإيطالي "أن النمسا ستكون محايدة في حالة، أي نتيجة للظروف الراهنة أو بسبب تطورات قد تحدث في ليبيا، تجد إيطاليا نفسها مضطرة إلى اتخاذ إجراءات تتطلبها مصالحها القومية".

والحقيقة أن هذه التعهدات لم تكن ضرورية لأن الحلف الثلاثي بموجب المادتين التاسعة والعاشر من عقده قد تضمنها منهاجه عند تجديده للمرة الثالثة في ماي 1891م وهكذا نجد الموقف النمساوي أكثر قوة في تأييد إيطاليا في ولاية طرابلس الغرب مما هو عليه الموقف الألماني ولعل العلاقات الجيدة التي كانت تربط الدولة العثمانية مع ألمانيا ألقت بضلالها على مجمل العلاقات التي كانت سائدة بين أطراف الحلف الثلاثي.

5-5- التسوية الإيطالية - الروسية:

كانت التسويات بين إيطاليا وروسيا متأخرة نوعاً ما بخصوص ولاية طرابلس الغرب، فقد توصلت معها إيطاليا إلى اتفاقيات في 24 أكتوبر 1909م ووعدت إيطاليا بموجبها أن تؤيد الطموحات الروسية في المضائق وفي المقابل تركت روسيا إيطاليا حرة في ولاية طرابلس الغرب، وهكذا استكملت إيطاليا

محاضرات في: تاريخ ليبيا المعاصرة..... د/ بوجلال مسعودة.

الاستعدادات الدبلوماسية والسياسية لعملية الغزو وأصبح احتلال ولاية طرابلس الغرب، مسألة وقت وتوقيت وظروف ملائمة.

كما حصلت إيطاليا على تعهد من روسيا بعدم وجود أطماع لديها في ولاية طرابلس الغرب فقد أكد ذلك جيوليتي رئيس الوزراء الإيطالي في مذكراته قائلًا (لقد حصلت أثناء زيارة قيصر روسيا إلى راكونيجي على اعتراف بحقوقنا في تلك المنطقة من جانب روسيا).

وهكذا استطاعت إيطاليا أن تبني بنجاح شبكة من التحالفات الدولية مؤيدة لمصالحها في ولاية طرابلس الغرب، وكان ذلك أحد الشروط الضرورية لإطلاق حملة الغزو العسكري على طرابلس الغرب في أواخر سنة 1911م.

وقد ركزت السياسة الإيطالية على سياسة التغلغل الإقتصادي والدعاية السياسية في الولاية كخطوة تمهيدية للاحتلال العسكري، لتبرير استعمار ليبيا، وركزت الدعاية الإيطالية على تخلف الإدارة العثمانية وإهمالها السكان المحليين وصورت الاستعمار الإيطالي كعملية تحضيرية لإنقاذ الليبيين من ظلام حكم الإمبراطورية العثمانية.

كل هذا هياً في ليبيا والدولة العثمانية بأن إيطاليا مقدمة على غزو ليبيا لذا فقد بادر الليبيون منذ عام 1910م إلى الصدر الأعظم إبراهيم حقي باشا يُعلمونه بعزمهم على رد كل هجوم وطلبوا إرسال وسائل تحصينات لطرابلس من الذخائر الحربية والبحرية والمؤن لمدة عام، وأنهم سيدافعون عن وطنهم حتى آخر قطرة من دمائهم. ولكن إبراهيم باشا لم يعمل شيئاً، لعلاقاته مع الإيطاليين، ومن ثمّ فهو متهم بالتواطؤ مع الإيطاليين لتسليمهم الولاية.

وبالرغم من كل هذا فإن الليبيين أخذوا على عاتقهم زمام المبادرة بعد أن أدركوا بالدليل القاطع مدى تواطؤ العثمانيين مع الإيطاليين للسيطرة على بلادهم حيث عقد مؤتمر الخمس سنة 1910م، حضره مندوبو الخمس وطرابلس الغرب وسرت وزلطين ومسلاته، واتخذ المجتمعون عدة قرارات حازمة بخصوص النفوذ الإيطالي في الولاية، فقرروا قطع أية علاقة مع بنك روما لما له من خطورة على ما قام به من عمليات شراء واسعة للأراضي فقرروا عدم بيع الأراضي له أو أخذ القروض منه ومقاطعة خطوط البواخر التابعة له، كما قرر المؤتمر مقاطعة المدارس الإيطالية العامة في طرابلس والخمس لما تشكله من غزو ثقافي خطير، كما قرر المؤتمر التجنيد الفوري وتوزيع السلاح على السكان للدفاع عن البلاد.

محاضرات في: تاريخ ليبيا المعاصرة..... د/ بوجلال مسعودة.

ومع نهاية القرن 19م برز في إيطاليا ثلاثة ايطاليين استعماريين عرفوا آنذاك وهم: فرنشيسكو كرسبي- جيوليتي- الجنرال بلو، والذين كانوا دعاة حرب وأطلقت عليهم الصحف الإيطالية فرسان الاستعمار الثلاثة، ولكن هزيمة إيطاليا في واقعة عدوة سنة 1886 جعلها تتخلى مؤقتاً عن استكمال أحلامها في امبراطورية واسعة في شرق إفريقيا مكتفية بالصومال وإرتيريا لكي توجه أنظارها وتركزها على الشمال الإفريقي وعلى طرابلس الغرب بالذات.

ثالثاً- الغزو العسكري الإيطالي لليبيا 1911م:

لم انتهِ الساسة الإيطاليون من مساعيهم الدبلوماسية بإقناع الدول الأوروبية بالحملة العسكرية المزمع قيامها، وضمنوا مواقفها المؤيدة في ذلك، وبعد ترحيل جُل أفرادها من ليبيا، بدؤوا مرحلة جديدة تمثلت في تهديد الدولة العثمانية، وشنّت خلالها إيطاليا حملة إعلامية شرسة على العثمانيين المتواجدين في ليبيا، فكانت تقول بأنهم محتلون غاصبون وأن الدولة العثمانية فرطت في أغلب ممتلكاتها في الشمال الإفريقي وليبيا آخر ما تبقى لها، وأن ولائها هم جامعوا ضرائب وإتاوات لا غير، وأنهم يسيئون التعامل بالولاية الليبية ولا يديرون مصالح إيطاليا واستثماراتها بشكل جيد، وعليه أرسلت إيطاليا للحكومة العثمانية عدة إنذارات، منها ذلك الذي تم إرساله في 25 سبتمبر 1911م، وأهم ما ورد فيه أن إيطاليا مضطرة للإقدام على احتلال طرابلس وبرقة عسكرياً، وأن تفتح لها الدولة العثمانية السبل لذلك، فلا يعترض طريقها شيء ولا يقاومها عند دخولها أحد، فإذا لم يكن ذلك ستلجأ إلى القوة، كما تطالب فيه الدولة العثمانية بسحب الجيش العثماني من طرابلس وبنغازي ودرنة، وتشكيل شرطة تحت قيادة ضباط إيطاليين، تكوين إدارة الجمارك بأيدي موظفين إيطاليين، فضلاً عن عدم تعيين ولاية عثمانيين دون موافقة إيطاليا، والجدير بالذكر أن عدد القوات العثمانية في ليبيا قبل الغزو الإيطالي كان 7518 جندياً.

بعد انتهاء مهلة الإنذار الإيطالي بعد انقضاء 24 ساعة عليه أعلنت وكالة الأنباء الإيطالية مساء 29 سبتمبر 1911 أن الحكومة العثمانية خرقت الاتفاقيات المبرمة مع إيطاليا ولم ترد على الإنذارات السابقة، وبالتالي أصدرت على الفور الإجراءات العسكرية بفرض الحصار على ليبيا ابتداءً من سواحل طرابلس وبرقة ومن حدود تونس إلى مصر اعتباراً من يوم 30 سبتمبر 1911.

وفي 3 أكتوبر قامت الوحدات البحرية بقصف مدينة طرابلس بداية بقصف قلعتها (السراي الحمراء) من قبل البارجة الحربية الإيطالية (Bentetto Brin). وفي اليوم الخامس من نفس الشهر تمّ

محاضرات في: تاريخ ليبيا المعاصرة..... د/ بوجلال مسعودة.

احتلال المدينة وضواحيها، ليتم تعيين نائب الأدميرال فارافيللي "رافاييل بوريا ريتشي Bora Ricci" حاكماً عاماً عليها مع منحه السلطتين المدنية والعسكرية، وتمّ تعيين حسن القرماني مأموراً للمدينة، وخلال شهر أكتوبر تمّ احتلال طبرق، درنة، وبنغازي، والخمس، وصدر مرسوم ملكي إيطالي في الخامس من نوفمبر 1911م والذي سيتخذ صبغة القانون في 25 فيفري 1912م، حيث وضعت طرابلس الغرب وبرقة بمقتضاه تحت السيادة الإيطالية المطلقة.

أبدى العثمانيون استعدادهم للمقاومة في بادئ الأمر، لكنهم لجأوا في الأخير بصفة كبيرة إلى الدول الأوروبية لتقديم شكاوى ضد إيطاليا، معتمدة على النوايا الحسنة والطيبة للدول الغربية والصديقة، وبالتالي لم تقم بمجهودات كافية للدفاع عن ليبيا وقد خدعت في ذلك، وحتى التمثيل الدبلوماسي لها في تلك الدول كان جد ضعيف وبالتالي كان يصعب عليها معرفة العدو من الصديق.

أعلنت غالبية الدول الأوروبية الحياد فيما يخص مسألة احتلال ليبيا، ولكنها في الظاهر كانت تقف مع إيطاليا وتبارك ذلك، وقد تباينت بعض المواقف بعض الشيء، فألمانيا مثلاً راعت مصالح الدولتين (الدولة العثمانية-إيطاليا) بعد قطع العلاقات بينهما، وكانت سابقة في تاريخ الحروب.

قبل بداية الحرب سحبت إيطاليا قواتها من ليبيا واحتفظت ببعض الموظفين فقط بمبنى القنصلية، وسرعان ما رحلوا بعد اعلان الحرب، وبالرغم من ذلك فإن الليبيين لم يتعرضوا لممتلكات الإيطاليين المدنيين خاصة بالرغم من الاعتداء العسكري على ليبيا، وقد قدرت القوات الإيطالية عند بداية الحملة بـ 100 ألف رجل، بينما كانت القوات العثمانية في 7000 رجل، تمركز منهم 5000 في طرابلس، و 2000 في برقة، لكن هذه القوات كانت تفتقد إلى القيادة والكفاءات الحربية وإلى الأسلحة المتطورة عكس الجيش الإيطالي، ولقد كانت مدينة طرابلس محصنة قبل ذلك لأنها كانت دائماً تتعرض إلى الحملات والهجمات والأخطار عبر التاريخ عكس بنغازي التي لم تكن محصنة بشكل جيد.